العدد 1662 - السنة السادسة
الجمعة 7 ذي القعدة 1434 - الموافق 13 سبتمبر 2013
Friday 13 September 2013 - No.1662 - 6th Year

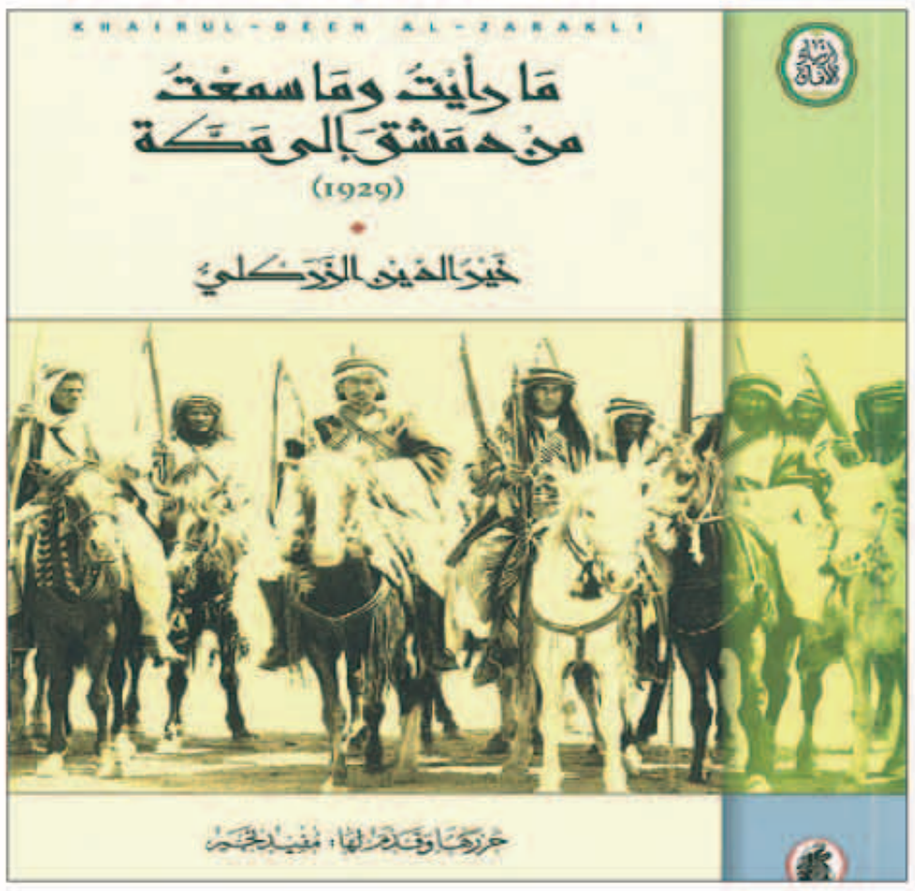

متعجباً من سيرورة هذا الشعر بين الناس هناك وحفظهم له

الزركلي يوثق للشعر النبطي في كتابه «ما رأيت وما سمعت»

- ترجم لمشاهير شعراء النبط في الحجاز في تلك الفترة
- ميّز بين شعر الحضر والبدو وأن لكل منهما نهجاً خاصاً

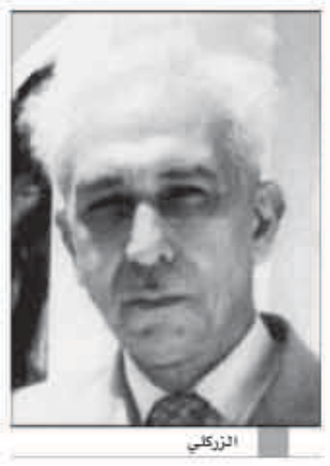
الزركلي

قاسم الرويس

- تحدث عن قدرات بعض الرواة الذين قابلهم قبل قرن من الزمان
- نماذج لم يدونها أحد قبله وترجم لبعض الشعراء وبعض الرواة في زمن مبكر

مدخل:

قال الزركلي في كتابه «ما رأيت وما سمعت» :"ينظم الشاعر المبدع من أهل مصر أو سورية أو العراق القصيدة وينشرها في إحدى الصحف مشكولة كلماتها مفسّرة ألفاظها موضحة معانيها ثم ينظر إليها عن بعد يترقب ما يكون لها من الأثر في نفوس القوم فإذا قارئوها ثلاثون في المئة من قراء الصحيفة، وفاهموها عشرة في المئة منهم، ولا يحفظها واحد في الألف . ويرتجل الشاعر البدوي القصيدة ارتجالا لا يتعمل فيها ولا يتكلف ولا يرجع إلى قاموس فيتناقلها الحفاظ من بعيد القبائل وقريبها يتناشدونها ويتغنون بها، ولا أغالي إذا قلت أنها تعيش في أدمغة هؤلاء قبل أن تكتب أكثر مما تعيش تلك في أدمغة أولئك وقد نشرت وكتبت " اهـ

لقد كتب الزركلي هذا الرأي سنة 1339هـ متعجباً من سيرورة الشعر النبطي بين الناس هنا وحفظهم له : فماذا سيكتب لو قدّر له أن يعيش الثورة الإعلامية لهذا الشعر النبطي في هذا الزمان ؟!

شاعر الفصحى يدرس الشعر النبطي :

«شعر البداة» تحت عنوان تحدث شاعر الفصحى العظيم المؤرخ العلامة خير الدين الزركلي في كتابه «ما رأيت وما سمعت»عن الشعر في الحجاز وقسمه إلى قسمين : القريض ويعني به الفصيح ،والحميني ويعني به النبطي . وأشار إلى بعض المصطلحات المستخدمة في باب الشعر عند أهل الحجاز فهم يسمون المساجلة قصيدا ،والقصيدة نشيدا ،واللغز غبوة ، وبدلا من «لا فض فوك» يقولون «صح لسانك».

لم يكن حديث الزركلي عن الشعر النبطي أو الحميني كما أسماه حديثاً عابراً بل هو حديث خبير درسه وتمعن فيه، فقد أورد نماذج لم يدونها أحد قبله وترجم لبعض الشعراء وبعض الرواة في زمن مبكر لم يكن الناس يهتمون فيه بتدوين هذه الأشعار ليس ذلك فحسب بل تحدث عن الرواية وطرق النقل وعن لغة هذا الشعر وأوزانه وفرق بين شعر الحاضرة والبادية كما تحدث عن الردح أو الرجز وأشار إلى اختلاف اللهجات وتباين الأساليب والصور والمعاني بين القبائل .

وسنستعرض هنا شيئا مما جاء به في هذا الكتاب للتدليل على ما قام به من جهد مشكور في اكتشاف جماليات هذا الشعر وحفظ بعض صوره من الضياع:

1. ترجم لمشاهير شعراء النبط في الحجاز في تلك الفترة مثل: جمهور العدواني ، حامد بن عبدالله بن راجح العبدلي، هزاع بن عبدالله الشريف، مقبل الوديود الحميدي الثقفي، الشريف زيد بن فواز، بديوي الوقداني، زيد بن هويشل العصيمي،الشريف عبدالله بن محمد بن هزاع،عابد بن فهيد ،عيضة بن مستور،بنية المولد من موالي بني سعد،عطية وجادالله من بني سعد،عبدالله بن سقرة الطويرقي،سليم العبد،الشريف حسين.

2. أشار إلى اعتماد هذا الشعر على الرواية والحفظ في الصدور، فهو يتشابه مع الشعر الجاهلي في طريقة النقل ووسيلة الانتشار، وأشار إلى كثرة الرواة وانتشارهم في كل القبائل وحفظهم للشعر الفصيح والعامي

ثم تحدث عن قدرات بعض الرواة الذين قابلهم في ذلك الزمان أي قبل قرن من الزمان تقريبا ومنهم الراوية عبدالله أبودايخ ذو التسعين عاما ونقل عنه:

أحمامة الوادي بشرقي الغضى
إن كنت مسعفة الكئيب فرجّعي
إنا تقاسمنا الغضى فغصونه
في راحتيك وجمرة في أضلعي

وذكر من الرواة المكثرين مدير شرطة الطائف في ذلك العهد درويش بن محمد الحدايدي إضافة إلى أنه شاعر مجيد، حيث أورد له ستة أبيات منها :

ما سجع قمري على غصن البشام
أو ترنم طايراً فوق الغصون
أو ترزم صوت رعد في الغمام
ثم أسبل من سني برقه مزون
عد هذا مني اقريكم سلام
يا ذوي تاصر مجودة الطعون

وذكر من الرواة أيضاً عيضة الذويبي من الذويبات من بني سعد .

3. تحدث عن الألغاز الشعرية كفن من فنون الشعر النبطي وأشار إلى تسميتها ب«الغبوات» وإلى براعتهم في صنعها واستشهد بأربعة نماذج نورد أحدها:

انشدك عن غمر شبابه أسبوعين
ومن بعد سبوعين يصبح الغمر شايب
كل فرح به غير قضاية الدين
ومدورين الفيد فوق النجايب

وهو لغز في «الهلال» والألغاز الأخرى كانت حول اللحية والكذب ويونس عليه السلام .

4. تحدث عن لغة هذا الشعر وخصائصها مشيراً إلى أن الشعراء يدخلون في شعرهم مفردات جديدة أو استعمال لم يسبقهم إليه أحد فهم حملة مقاليد اللغة في بني قومهم يتصرفون في أساليبها وجموعها كما تشاء لهم قرائحهم وضرب بعض الأمثلة :فقولهم «لا جاك فلان» أي «إذا جاءك فلان»، وقولهم «اللي» بمعنى الذي، وقولهم «نصاه» بمعنى قصده،لإضافة إلى وصل همزات القطع، وكسر ياء المضارعة،وتسكين أواخر الكلمات .

5. أشار إلى أوزان الشعر وطريقتهم في وزن الأبيات فقال:«كما كان الشاعر الجاهلي يقول الشطر الأول أو البيت الأول من القصيدة وهو لم يسمع بتفاعيل الخليل فيجري إلى آخر القصيدة على نظام واحد كذلك نجد الشاعر البدوي يبتدئ بلالاته «أي يقول قبل الشروع بالقصيدة :يالالا لالا للي ،لي لالا لالا لا ما يوافق النغم الذي يريد أن ينظم القصيدة فيه » ثم يرتجل القصيدة لا يختلف البيت عن الآخر وزنا وقافية، وإنما دليله النغم واللالات لا غير. وقد يقول أحدهم الشعر «الحميني» دون أن يبدأ باللالات أو يضع نغما متكلا على سليقته الشعرية فيأتي بالموزون الذي لاعيب فيه عندهم «.

6. ميّز بين شعر الحضر والبدو وأن لكل منهما نهجا خاصا ففي شعر الحضري صنعة ظاهرة لا تبدو في شعر البدوي الذي يعتمد على الارتجال ،كما أن الشاعر البدوي أجرأ على التصرف بلغته من الشاعر الحضري الذي يتكلفها تكلفا، وكذلك فإن شعر ابن الحواضر يبدو قريبا من لغة الحواضر الرقيقة فلا يعسر على الأديب الحجازي فهمه، أما شعر ابن البوادي ففيه وعورة على الحضري لا يكاد يفهمه إلا بعد السؤال إطالة الإمعان ثم قابل بين قصيدة لزيد بن هويشل كنموذج للشعر البدوي أولها:

الظفر لابد من صفره بين
ظفر ويكرم سبال الغانمين
كل قالات الرجال الهافطين
قبل يبلغ بالعدد عشرين عام

وبين قصيدة للشريف عبدالله بن محمد بن هزاع كنموذج للشعر الحضري أولها:

آه من قلب تعنّى وانقسم
أتعب الأعيان واغداني سقيم
في هوى من فاق حسنه واستتم
فاق جمع الخود لم جاله حتيم

ثم قابل بعد ذلك بين قصيدة بدوية للشريف حامد بن عبدالله وقصيدة حضرية للشريف زيد بن فواز .

7 تحدث عن الردح كفن من الفنون الشعرية قال وتسميه هذيل «الرجز» وهو في عرفهم :أن يسير جمع من الناس أو يصطفوا وقوفا يتوسطهم شاعرهم فيبدأ باللالات ثم يرتجل البيت من الحميني فيعيدونه هازجين ويستمر حتى ينتهي من نشيده ،قال: وقبل أن يبدأ الشاعر «يبيشنون» والبيشنة في لغتهم الهتاف أي يرفعون أصواتهم وسلاحهم ترحيبا بالشاعر، وأشار إلى مشاهدتهم لكثير من ذلك غير أن بطء فهمه عن إدراك المعنى منعه عن كتابة ألفاظ الشاعر وهو يرتجل. كما أشار إلى شعر المجرور الذي يلتزم التسميط وأورد نموذجا منه: «عكابه» رموك ×من «شرقرق» و«شبره» × ببندق ميازر

ولا والله فتك فيك × تظلين عبره × لكل النواظر

8 أورد نموذجا من القريض «الفصيح » في ثمانية أبيات للشاعر بديوي وقداني في رثاء الشريف عبدالله بن محمد بن عون أولها :

الملك لله والدنيا مداولة
وما لحي على الأيام تخليد

قال أبوالغيث : «رأيتها مكتوبة بخط واضح جميل معلقة على أحد الجدران في قبة الحبر ابن عباس بالطائف».

9 بلغ مجموع ما أورده الزركلي من أبيات الشعر النبطي في كتابه حوالي 130بيتا من الشعر أغلبها يدوّن لأول مرة ،وهو عند إيراد الأبيات الشعرية يذكر اسم الشاعر معرّفا به ويذكر مناسبة القصيدة ثم يوردها مضبوطة الشكل مشروحة الألفاظ في الحاشية وقد كان دقيقا في ذلك كله رغم الصعوبات التي واجهها في فهم هذا الشعر مما يعطينا تصورا عن قدرات هذا الأديب العملاق والمؤرخ الفذ. وقد كان للشريف حامد بن عبدالله نصيب الأسد، حيث ورد له 34 بيتا، وذلك بسبب اجتماع الزركلي به واستنشاده له قال الزركلي:» وما كنت أستطيع فهم كلامه لما فيه من غريب كلم البداة لولا أن أسعفني أحد أشراف مكة بأن كان يترجم لكل منا ما يقوله الآخر « كما ورد لبديوي الوقداني 16بيتا وزيد بن هويشل 14بيتا ومقبيل الوديود 13بيتا .وأخيرا من خلال ما سبق يتضح لنا إن الزركلي رغم بعده عن بيئتنا فإن نباهته جعلت له قصب سبق في دراسة الشعر النبطي وتسليط الضوء على شعرائه ورواته وجوانبه الأخرى، كما أنه يعتبر من أوائل من ربط بين الشعر الجاهلي والشعر النبطي ، ومن أوائل من حاول التمييز بين شعر البادية والحاضرة النبطيان إضافة إلى توثيقه لعدد من النصوص النبطية في زمن مبكر .

قاسم بن خلف الرويس

صوت عبدالله بن سيعد يقابله صدى عبدالرحمن الحارثي

حديث الشموع

يا زاير الليل جيت وفي المحاجر دموع
والهاجس يقلّب المكسور في مهجعه
شكرا على احساسك اللي فيه طعم الرجوع
بعد اغتراب العمر والدمعة الموجعة
لاهو ظما اللي ظما والجوع ماهوب جوع
والقلب ضايع مابين الترك والمنفعة
يا ليتها تدرك الظلما حديث الشموع
ما كان سوت لبيبان السهر زوبعة
تدفع رياح السؤال اسفارها للخشوع
لكن عين الاجابة ما وراها دعة
ايقنت بعد انكسار الضحكة ان الضلوع
تذبل وهي بالدما وعروقها مترعة
من ليلة السبت والغصة ليوم الربوع
والضيق ملعون لا اغبرّت وجيه السعة
اغيب والناس تتهمني بقولة « قطوع «
ما تدري اني قضيت العمر فالمعمعة
واسوي اني تعمدت الردى بالخضوع
وانسى وكل الجروح ابوابها مشرعة
يا زاير الليل خيبات الهقاوي تلوع
تعبت اطش الحكي واسرح وارد اجمعه
واحترت فالبوح والغصة وسر الدموع
هي غلطة الناس والا غلطة المطبعة ؟

عبدالله بن سيعد

(الركوع)

ماعاد ينفع عتابك والامل في خنوع
والصبح ينفض عن آخر سالفة مفجعة
شفني وحيد بعتابي والاماني جموع
واحلامنا تنطحن وايامنا جعجعة
ياما زهمت وزهمت ومال صوتي سموع
والوعد من سكة الغيّاب كم نسمعه
والحزن من دمعة المغبون ينبت فروع
على ضفاف الأماني والسهر مضجعه
ضاقت بصدر الرحابة كل دار وربوع
مرت عليها امانينا خطى مسرعة
هذا الزمن يارفيقي ممتلي بالطبوع
والكل مبحر على كيفه وفي مطمعه
اعوذ بالله من كثر السخط والجزوع
والحمد لله على صمتي وما يتبعه
مالك ومال الهقاوي من عيون الهجوع
مادام كل الرواية ماهي بمقنعة
والضيقة اللي تجي بين الحنايا بطوع
كثر السؤال الحزين ومنبعه منبعه
لو تلتفت لليالي في نزول وطلوع
واحترت تكتب عن اخر سالفة مفجعة
مايقتل الحيرة إلا الفضفضة فالركوع
والسجدة اللي قبيل الفجر من مطلعه

عبدالرحمن سعيد الحارثي

حكاية قبل النوم ..!!

نامي فديت عيونك النعسانة
يالدانه اللي ماش مثلك دانه
ياشيخة الحسن الفريد الطاغي
يالغضّة الميّاسه الريانة
نامي وخليه السهر لعيوني
يمكن يسلّي خاطري واحزانه
نامي وابنسج لك فرايد شعري
وادوزن اوزانه واعزف الحانه
خليني اقطف لك حدايق صدري
يشمومه وقيصومه وريحانه
تلحفي نبضي ونبرة صوتي
حتى تلين اطرافك البردانه
وليا غفيتي وابتدت احلامك
تذكري قلبي معاك امانه
وانا بسولف للقمر عن وصفك
واقول تتفوق عليك بخانه
مثلك ولكن ماتغيب وتذبل
طول الشهر واوصافها فتانه
ضحكاتها نور ونسايم فمها
ورد تفرعن في طرف بستانه
نامي عساني ماخلا من شوفك
سبحان من هو صورك سبحانه
وليا صحيتي فتّشي باوراقي
وقولي سلم قلبه وصح لسانه

عطاالله ممدوح
alaataaa@